

خدمة المحبة

الأب جورج صقر

رئيس مجلس الإدارة

٢٠٠٦

لقد وعى الصندوق التعاضدي الاجتماعي الصحي مسؤولياته الرعوية الاجتماعية منذ تأسيسه في كنف البطريركية المارونية، وبرعاية سيدها غبطة البطريرك الكاردينال مار نصرالله بطرس صفير الكلي الطوبى، وعنايته الأبوية التي تمثل سبباً إضافياً من أسباب التقدم والنجاح في العمل بروحية الخدمة والمحبة والعطاء، فاستلهم تعليم الكنيسة، ودعوة رعاتها وأبائها إلى تجسيد المحبة، وآخر هذه الدعوات رسالة قداسه "الله محبة"، حيث يشدد فيها على أن: "محبة القريب المتأصلة في محبة الله هي، قبل كل شيء، خدمة تؤدي إلى كل مؤمن، لكنها أيضاً خدمة تؤدي إلى الجماعة الكنسية كلها، وذلك على قاعدة تقاسم خبرات الأرض، لأن هذه الخيرات معدة للجميع، ولأن "الكنيسة هي أسرة الله في العالم، في هذه الأسرة، يجب ألا يتألم أحد من نقص في ما هو ضروري"، ولأن "الأساقفة، بصفتهم خلفاء الرسل، قد أوكلت إليهم المسؤولية الأولى (وهي) تفعيل واجب المحبة، بصفتهما مهمة جوهرية من مهمات الكنيسة الجامعة، ومن مهمات الأسقف في أبرشيته". ("الله محبة").

من صميم تعليم الكنيسة هذا انطلق الصندوق التعاضدي الاجتماعي الصحي وراح ينمو ويتقدم، فكان كالخمير في العجين، الذي أنتج ما سيشبع حاجات الناس إلى الطبابة والاستشفاء بكرامة، ويسد بعضاً من عوزهم إلى الخدمات الاجتماعية بعدالة وتجرد ومساواة.

يدرك القيمون على الصندوق، كل الإدراك، أن السرّ الأول للنجاح يكمن في الروحية التي انطبع فيها هذا الصندوق منذ تأسيسه قبل ١٥ سنة حتى اليوم. إنها روحية الكنيسة الخادمة، المدعوة دوماً إلى تفضيل الفقراء، أحبائهم، بالمحبة، لأن "ممارسة المحبة نحو جميع الأشخاص، الذين، بطريقة ما، هم في العوز، [...] تُعتبر من صلب جوهر الكنيسة، بالقدر ذاته الذي تُعتبر به خدمة الأسرار وإعلان الإنجيل. لا يمكن الكنيسة أن تُهمل خدمة المحبة، مثلما لا يمكنها أن تُهمل الأسرار ولا الكلمة." (رسالة البابا بندكتوس ١٦ "الله محبة" ٢٠٠٥).

تطبيقاً لهذا التعليم وللمبادئ التعاضد التي التزم بها راح الصندوق يطور خدماته، ويعيد كل فائض يتكوّن لديه إلى أعضائه المنتسبين، وها هو يُقدّم لهم أفضل التقديمات الاستشفائية، ويمنحهم مساعدات فريدة ومميّزة. إلى ذلك وعى الصندوق الأبعاد الإنمائية لرسالته، فراح يُخطّط لمبادرات إنمائية خاصة في المناطق الريفية والأطراف لترسيخ أبنائها فيها، وخصّ شبابنا المنتسبين إليه المقيمين منهم في الأرياف والأطراف، فأطلق لمساعدتهم في البقاء حيث هم برنامج القروض السكنية، كما أطلق أيضاً برنامج القروض الجامعية والتعليم العالي.

إنّ الأهداف البعيدة لهذه المبادرات هي دعم العائلات، وتحصين وحدتها وترسيخها في أرضها وبلداتها وقرائها. ليست خطوات افتتاح مكاتب للصندوق في المناطق، إلا للدلالة على وعينا لواقع الأرياف المحرومة، وحرصنا على الإسهام الفعلي في تنميتها. لهذا تتوسّع مكاتب الصندوق وتنتشر، من مقرّه المركزي في المجمع البطريركي في زوق مصبح إلى طرابلس في الشمال فالعاصمة بيروت، وفي مدينة زحلة والبقاع، وبعده في الجنوب وسواه... فيتعرّز حضوره ونشاطه لتشمل تقديماته كل أبناء الكنيسة حيث ما وجدوا.

إنّ مسيرة التعاقد تتنامى، وروح التضامن تقودنا إلى مزيد من الخدمة والعطاء، وإيماننا راسخ بأنّ واجبنا الكنسيّ يتمثّل بفهمنا وتقديرنا لواقع العالم المعاصر، وإدراكنا الكامل لمشاكل الإنسان فيه، ولأسبابه التي تأتي في طبيعتها الصّحة والطبابة... لأننا "لا يمكن أن نسهم في بناء عالم (ومجتمع أفضل) إلاّ بعمل الخير، حالاً وشخصياً وبشغف، حيثما يمكن ذلك." ("الله محبة").

نظراً لتفاقم الظروف الاقتصادية والمعيشية، خاصة بعد الحرب الأخيرة والمدمّرة التي شهدتها وطننا، وبعد الارتفاع المتزايد في كلفة الطبابة والاستشفاء على الطبقات المحتاجة إلى رعاية صحّية التي لم تتمكن الأجهزة الحكومية والجهات الرسمية الضامنة من توفيرها بعد، أوجب هذا الواقع على القطاعين الحكومي والأهليّ تعميق التعاون والتنسيق لتلبية بعض من هذه الحاجات المتفاقمة والملحة. من هنا تشكّل استجابة الكنيسة للمتطلبات الحياتية عند أبناء المجتمع إحدى أهم دعواتها، في كلّ زمان ومكان، للاهتمام في الشأن الاجتماعيّ، وفق ما جاء في الإرشاد الرسوليّ "رجاء جديد للبنان"، وقد تبنّاه المجمع البطريركيّ المارونيّ الأخير، وفيه: "... تقوم رسالة الكنيسة على أن تعرّف بالمسيح، ابن الله، وأن تعلن الخلاص الذي منحه الله لجميع الناس. ولقد أدركت أيضاً على الدوام، وهي تتأمل سيدها، الإنسان الكامل، أن لها مكاناً مميزاً في المجتمع، في سبيل تحرير الناس من كل ما يعوق نموهم البشريّ والروحيّ، لأنّ مجد الله هو الإنسان الحيّ"، ولأنّ الله خلق الإنسان كائناً اجتماعياً، أيّ أنّه ينمو ويحقق دعوته من خلال العلاقة بالآخرين، وهذه العلاقة أساسها المحبة: محبة الله ومحبة القريب. المحبة التي كلمنا عنها السيد المسيح هي ليست محبة بالكلام أو بالشفقة أو بالإحسان، بل هي محبة بالعمل والعطاء والعدالة. إنها المحبة المتجسّدة أعمالاً صالحة وأفعالاً خادمة هدفها الإنسان المحتاج والمتألّم.

إن المبادرات الاجتماعية في الكنيسة تنبع من قيمة المحبة هذه وتهدف إلى رعاية الضعيف، وإحقاق العدالة للفقراء والمهمّشين. تتجلّى هذه الرسالة وتبلغ مداها حيث الحرمان يصيب الناس، وحيث حقوقهم الدنيا في الحياة الكريمة مهدّدة.

وإنّنا فيما نوّكد التزامنا بمضاعفة الخدمات ذات الطابع الاجتماعيّ والرعوي بإخلاص وشفافية، نحرص في الوقت ذاته على نشر ثقافة التعاقد وتحقيق التنمية المستدامة العادلة والمتوازية.